

التأهيل المعرفي وجودة الحياة الأسرية لذوي صعوبات التعلم في مرحلة الطفولة المبكرة

د.محمد داودي مسؤول ميدان التكوين في العلوم الاجتماعية/جامعة الأغواط
أ.د.التجاني بن الطاهر عميد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية/جامعة الأغواط

ملخص :

أصبح الاهتمام بالأطفال ذوي صعوبات التعلم من أهم الأمور التي تشغل بال الباحثين والأخصائيين في علم النفس وفي غيره من العلوم، نظرا لزيادة عددهم في المجتمعات الحديثة من جهة، ولتطور أساليب الرعاية والتكفل بهم من جهة أخرى. ويعتبر التأهيل المعرفي لذوي صعوبات التعلم في مرحلة الطفولة المبكرة من أهم الأساليب الناجعة لتحسين مستوياتهم المعرفية والعقلية، وبالتالي تكوين شخصياتهم، ورفع مستوى أدائهم في المراحل اللاحقة من حياتهم. ويؤكد عدد من العلماء على أهمية التأهيل المعرفي في مرحلة مبكرة من حياة الطفل، لأن التأهيل في هذه المرحلة يكون أكثر يسرا وفعالية، كما يكون الطفل أكثر تفاعلا واستجابة للمواقف والخدمات التي تقدم له، وبالتالي تكون النتائج أفضل، في حين يرى علماء آخرون على أن الاهتمام بالأطفال ذوي صعوبات التعلم وتأهيلهم معرفيا في هذه المرحلة المبكرة مهم، ولكنه غير كاف إذا لم نعط أهمية لتحسين مستوى جودة الحياة الأسرية للطفل، من خلال توفير مناخ أسري آمن، وبيئة أسرية ثرية ومستقرة.

إن الأسرة في نظرهم هي المؤسسة الأولى المسؤولة على نجاح التأهيل المعرفي للأطفال ذوي صعوبات التعلم، وهي المسؤولة عن الطفل وتنمية قدراته، وإدارة إنجازاته، ومن ثم تقوم بدور أساسي في عملية التخلص من صعوبات التعلم التي تواجهه، أو على الأقل التخفيف منها ما أمكن.

ولذا جاءت هذه الدراسة لتحديد مفهوم التأهيل المعرفي، والتعريف بالمقاربات النظرية المفسرة لعملية التأهيل المعرفي للأطفال ذوي صعوبات التعلم، وتوضيح خطوات التأهيل المعرفي، وتؤكد على أهمية التأهيل المعرفي المتزامن مع جودة الحياة الأسرية للطفل، وتبين معيقات نجاح التأهيل المعرفي، وأخيرا تقدم اقتراحات عملية لنجاح التأهيل المعرفي.

الكلمات المفتاحية: التأهيل المعرفي - التوظيف المعرفي - صعوبات التعلم - جودة الحياة الأسرية - مرحلة الطفولة المبكرة - الكشف المبكر.

مقدمة:

تعتبر مرحلة الطفولة المبكرة من أهم مراحل النمو الإنساني، ومن أكثرها تأثيرا في شخصيته وقدراته ومواهبه، بل وفي كل مجالات حياته المستقبلية، لأنه يكتسب فيها مجمل الخصائص النفسية والاجتماعية التي تساعد على النمو، ولهذا يؤكد

علماء النفس على خطورة الست سنوات الأولى من حياته، وقد شهدت السنوات الأخيرة اهتماما متزايدا بهذه المرحلة من جميع النواحي النفسية والمعرفية واللغوية وغيرها، وزادت معه أدوار الأسرة أهمية وتعقيدا، حيث لم تعد تربية الطفل قاصرة كما كانت على الاهتمام به من الناحية الجسمية والرعاية الصحية فقط، فظهرت مهام أخرى أكثر أهمية وأكثر تعقيدا، ومن هذه المهام التي أصبحت أساسية وضرورية في وقت مبكر من حياة الطفل، التزود بثقافة نفسية وتربوية تساعد على الاكتشاف المبكر للمشكلات والصعوبات التي يمكن أن تواجهه في بداية حياته.

لقد أثار موضوع اكتشاف الأطفال ذوي صعوبات التعلم في مرحلة الطفولة المبكرة اهتمام الباحثين والأخصائيين التربويين، وواضعي المناهج الدراسية، من حيث أنه يحتاج إلى فهم عميق بالخصائص النمائية للطفل في هذه المرحلة ومظاهرها، ودراسة بالعوامل المسببة لهذه الصعوبات، وتدخل مبكر يساعد على التشخيص الصحيح والسليم لهذه المشكلات، لذا فقد شهد العقدان الأخيران حركة واسعة تدعو إلى تنشيط الاهتمام بذوي صعوبات التعلم بصفة خاصة، وذوي الاحتياجات الخاصة بصفة عامة، وتقديم التأهيل المناسب لهم.

إن الأسرة ذات الوعي التربوي المرتفع تدرك من وقت مبكر خصائص أطفالها والفروق الفردية بينهم، وتعمل على تنمية قدراتهم وفق تلك الخصائص والفروق، وتعترف بقدراتهم، وتسعى لتنميتها وفق رؤية واعية مدركة لحجم تلك القدرات ونوعها، وتسعى مجملا إلى توفير بيئة أسرية داعمة للنمو السليم، وهذا ما أكده العديد من العلماء من خلال البحوث والدراسات مثل بلوم وتورانس (Torrance, 1962) (Bloom, 1985)¹، وبروكس (Brooks) الذي يرى أن فشل الأسرة في ذلك قد يؤدي إلى انحراف الطفل وضياعه²، وعلى هذا الأساس فإن البحث في مجال التأهيل المعرفي ومرافقته لجودة البيئة الأسرية للأطفال ذوي صعوبات التعلم يصبح من البحوث ذات الأهمية القصوى.

أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة الحالية في أنها تركز على أهمية التأهيل المعرفي لذوي صعوبات التعلم في مرحلة الطفولة المبكرة، وأهمية الاكتشاف المبكر لهذه الصعوبات في هذه المرحلة، كما تؤكد على أن عملية التأهيل لا تحقق النتائج المطلوبة إلا إذا كانت مرتكزة على استراتيجية إشراك الأسرة فيها من جهة، ومن جهة أخرى تحسين جودة الحياة الأسرية التي يعيش فيها هذا الطفل. ومن ثم فإن الاستنتاجات والتوصيات المتوصل إليها يستفيد منها كثير من الأخصائيين والتربويين الذين يتعاملون مع الأطفال في قطاعات مختلفة داخل الأسرة ورياض الأطفال بصفة عامة، وفي المراكز البيداغوجية المتخصصة في توجيه الأطفال ذوي صعوبات التعلم وأسرهم، وأخيرا فإن أهمية هذه الدراسة تكمن أيضا في أن مادتها العلمية قد تساعد الدارسين والأخصائيين في بناء برامج إرشادية وتربوية وتكوينية خاصة بالأطفال الذين لديهم مشاكل تربوية في مرحلة ما قبل التعليم الابتدائي.

أهداف الدراسة: تتلخص أهداف هذه الدراسة في تحديد مفهوم التأهيل المعرفي، والتعريف بالمقاربات النظرية المفسرة لعملية التأهيل المعرفي للأطفال ذوي صعوبات التعلم، كما توضح خطوات التأهيل المعرفي، وتؤكد على أهمية التأهيل المعرفي المتزامن مع جودة الحياة الأسرية للطفل، وتبين معيقات نجاح التأهيل المعرفي، وأخيرا تقدم اقتراحات عملية لنجاح التأهيل المعرفي.

تساؤلات الدراسة: انطلاقا مما ذكرناه سابقا نتحدد مشكلة الدراسة الحالية في التساؤلات التالية:

¹ - موسى محمد نجيب (٢٠٠٣)، أساليب المعاملة الوالدية للأطفال الموهوبين، رسالة ماجستير غير منشورة، مصر . جامعة حلوان.

² - الشريبي زكرياء ويسرية صادق (٢٠٠٢)، أطفال عند القمة - الموهبة والتفوق العقلي والإبداع - القاهرة، دار الفكر العربي، ص ٥٥.

- ماذا نعني بالتأهيل المعرفي؟
- ماذا نعني بجودة الحياة الأسرية؟
- ما ذا نعني بصعوبات التعلم؟
- ما أهم المقاربات النظرية المفسرة لعملية التأهيل المعرفي للأطفال ذوي صعوبات التعلم؟
- ماهي خطوات التأهيل المعرفي؟
- ما أهمية جودة الحياة الأسرية المترامنة مع التأهيل المعرفي للأطفال ذوي صعوبات التعلم؟
- ما هي معيقات نجاح التأهيل المعرفي؟

منهج الدراسة وخطواتها: بالنظر إلى الطبيعة النظرية للبحث ، فقد اعتمد الباحثان على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك لملاءمته لمثل هذا النوع من الدراسات، من خلال وصف تحليلي للتراث الأدبي وللدراسات المتعلقة بجودة الحياة الأسرية والتأهيل المعرفي لذوي صعوبات التعلم في مرحلة الطفولة المبكرة.

ويأتي هذا البحث في مجموعة من العناصر على النحو التالي:

أولاً: الإطار المفاهيمي:

١- التأهيل المعرفي: قبل أن نعرف التأهيل المعرفي لا بأس أن نعطي مفهومًا للتأهيل بصفة عامة.

فالتأهيل عموماً: هو مجموعة من الخدمات المتكاملة في المجال التربوي والاجتماعي والصحي والنفسي الموجهة للطفل الذي يعاني من صعوبات تعليمية أو مشكلات تكيفية أخرى، هذه الخدمات ينبغي أن تكون مترافقة ومتزامنة مع الدعم النفسي والتوجيه التربوي والإرشاد الأسري لأولياء هذا الطفل وأفراد أسرته، حتى تتم عملية التأهيل بصورة كاملة بما يحقق للطفل التغلب على المشكلات التي تواجهه.

والتأهيل أنواع كثيرة في مجال التربية الخاصة، منها: التأهيل الاجتماعي - التأهيل التربوي - التأهيل الأكاديمي - التأهيل الطبي - التأهيل البدني - التأهيل النفسي - والتأهيل المعرفي الذي هو موضوعنا.

التأهيل المعرفي: هو مصطلح حديث ظهر لدى المختصين للدلالة على ما يقابلها في اللغة الأجنبية (Remédiation Cognitive) اختصاراً (R.C) والغاية منه التقليل من الصعوبات المعرفية والأعراض المرضية، وهو مجموع البرامج العلاجية التي تقلل من الأعراض الدالة على صعوبات التركيز ، والصعوبات التي تعكس اضطرابات الانتباه والذاكرة والتخطيط في الحياة اليومية لدى الأطفال والراشدين على السواء، والتي قد تمتد من أبسط الاضطرابات إلى أعقدها.

والتأهيل المعرفي يعرف بأنه تدخل الغاية منه التدريب الواعي والهادف عن طريق استخدام تقنيات وخطط علاجية للتعلم المكثف القائم على تكرار التمارين والمهام ، وتعلم استراتيجيات فعالة في حل المشكلات المعقدة، وتطوير وسائل حل صعوبات الذاكرة العاملة وذلك للتقليل من العجز اليومي الذي يعاني منه المصاب¹ وتشير

¹ - Isabelle Amado,&Loyd L. Sedrer(2013) in http://www.huffingtonpost.fr/isabelle-amado-md-phd/quest-ce-que-la-remediation-cognitive_b_3728095.html.

ماديلياوسايبيرستيا (Madelia & Saperstien 2013) أن التأهيل المعرفي يوظف عن طريق برامج وخطط علاجية من خلال حصص تدريبية موجهة إلى الأشخاص الذين هم في حاجة ماسة إلى تحسين مستوى العمليات المعرفية.

٢- جودة الحياة الأسرية:

أ- الجودة لغة: الجودة من الفعل جاد، جود ، جودة أي صار جيدا ، وهو ضد الرديء ، وجود الشيء : أي حسنه وجعله جيدا^١.

وقال ابن منظور: الجودة في اللغة من الفعل جود ، وجاد الشيء جودة : أي صار جيدا ، وقد جاد جودة وأجاد: أي أتى بالجيد من القول أو الفعل^٢.

ب- جودة الحياة الأسرية: يعرف سميث (Smith, 2005) جودة الحياة الأسرية بأنها الحاجة إلى الترابط القوي لأفراد الأسرة. ويرى كل من براون وبراون (Brown & Brown, 2006) أن جودة الحياة الأسرية هي الدرجة التي يحتاج فيها أفراد الأسرة إلى الالتقاء ، والمدى الذي يستمتعون فيه بوقتهم معا ، والمدى الذي يكونون فيه قادرين على فعل أشياء هامة مع بعضهم البعض.

ويعرف إيزاكس وآخرون (Isaacs, 2008) جودة الحياة الأسرية بأنها الأداء الجيد للوالدين في الأسرة أو هي السعادة الأسرية^٣. وهي أيضا نوعية الحياة الأسرية المستقرة، والتي تضمن سعادة أفرادها لإدراكهم أن حياتهم ذات معنى، ويتوفر فيها احتياجاتهم المختلفة، ويتحقق ذلك عن طريق التوافق بين الزوجين، وقدرتهم على التواصل ومواجهة صعوبات الحياة معا، وقدرتهم على النجاح في رعاية أبنائهم بدنيا نفسيا واجتماعيا، مما يوفر الظروف البيئية الملائمة لتنمية قدرات ومهارات الأطفال لإعداد جيل صاعد للمجتمع^٤.

٣- صعوبات التعلم: من المعروف تربويا أن صعوبات التعلم لا يمكن رؤيتها أو ملاحظتها كما هو الحال في الإعاقات الجسدية والعقلية. لذا فقد عُرفت تربويا بالإعاقة الخفية^٥، وقد واجه هذا الحقل صعوبات أساسية أهمها عدم وجود توافق أو إجماع عام على تعريف صعوبات التعلم، ولقد اقترحت العديد من التعريفات التي حاولت تفسير هذه الظاهرة حتى وصلت إلى ثمانية وثلاثين تعريفا^٦. وكل هذه التعريفات تدور حول الافتراض بأن الفرد ذا الصعوبة التعليمية عادة ما يتمتع بمستوى ذكاء حول المتوسط، أو أعلى، وتتوافر له فرص تعلم مناسبة، وبيئة أسرية جيدة، ولكنه رغم ذلك لا يستطيع اكتساب المهارات الدراسية^٧.

١- البستاني فؤاد أفرام، منجد الطلاب ، (طبعة ٣٨)، بيروت ، دار المشرق.

٢- ابن منظور أبي الفضل جمال الدين (١٩٩٣)، لسان العرب، بيروت، طبع دار الكتب العلمية، ط١، جزء أ، ص٢١٥.

٣- أماني عيد المقصود وسميرة محمد شند، (٢٠١٠)، جودة الحياة الأسرية وعلاقتها بفاعلية الذات لدى عينة من الأبناء المراهقين، المؤتمر السنوي الخامس عشر، جامعة عين شمس، مركز الإرشاد النفسي، ص٤٩٨.

٤- منار عبد الرحمن خضر، أحلام عبد العظيم مبروك (٢٠١١)، جودة حياة الأسرة وتأثيرها على قدرة الأم لاكتشاف وتنمية الذكاءات المتعددة لدى الأطفال في سن ما قبل المدرسة، مجلة بحوث التربية النوعية، المنصورة: القاهرة، العدد ٢٣، أكتوبر ٢٠١١، ص٩٠.

٥- Hornsby, B. (1994). The Hornsby correspondence course, Module 1-4, (5thed). London: The Hornsby International Centre.

٦- الخطيب جمال ومنى الحديدي (١٩٩٨)، المدخل إلى التربية الخاصة، الكويت ، مكتبة الفلاح.

٧- صباح العنيزات (٢٠٠٩)، نظرية الذكاءات المتعددة وصعوبات التعلم ، عمان ، دار الفكر ، ص١٠.

وباختصار فإن صعوبات التعلم تعرف بأنها انخفاض في أداء الطفل بالمقارنة بزملائه العاديين، مع التمتع بذكاء متوسط أو فوق المتوسط، إلا أنه يظهر صعوبة في بعض العمليات المتصلة بالتعلم، كالفهم، أو التفكير، أو الإدراك، أو الانتباه، أو القراءة، أو الكتابة، أو التهجى، أو النطق، أو إجراء العمليات الحسابية، ويستبعد من حالات صعوبات التعلم ذوي الإعاقة العقلية، والمضطربين انفعالياً، والمصابين بأمراض وعيوب السمع والبصر، وذوي الإعاقات المتعددة¹.

ثانياً: المقاربات النظرية المفسرة لعملية التأهيل المعرفي للأطفال ذوي صعوبات التعلم: هناك مجموعة من المقاربات النظرية التي اهتمت بكيفية القيام بعملية التأهيل المعرفي للأطفال ذوي صعوبات التعلم، وكلها تركز على معالجة الصعوبات والنقص والقصور لدى الطفل، سنحاول فيما يلي عرض أهم الأفكار التي ركزت عليها باختصار:

١- استراتيجيات تنمية القدرات (تدريب العمليات النفسية): ينادي أنصار هذه الاستراتيجية بالأخذ بمفهوم العمليات النفسية الأساسية كالتفكير والانتباه والإدراك والذاكرة، والنمو اللغوي، والنمو الحركي، عند التخطيط للبرامج التربوية لذوي صعوبات التعلم، انطلاقاً من أن الصعوبات التعليمية، تنتج عن اضطراب في واحد أو أكثر من هذه العمليات، وأنه من الممكن تدريب الأطفال على هذه العمليات من خلال برامج تعد لذلك، ويعد برنامج كيفارت (Kefart) من الأمثلة على هذه البرامج، حيث يركز على النواحي البصرية، والحركية - البصرية أثناء الإجراءات العلاجية لهؤلاء الأطفال، من خلال التركيز على تأزر الإدراك الحركي لديهم².

٢- استراتيجيات الحواس المتعددة: تركز هذه الاستراتيجية على استخدام الحواس المختلفة في عملية التدريس، كطريقة فرناند (Fernand) التي تسمى بأسلوب Visual-Auditory-Kinesthetic-Tactile (VAKT) إشارة إلى أربع حواس يستعين بها هذا الأسلوب، وهي البصر والسمع والحركة واللمس، ومن الأمثلة على تطبيق هذه الاستراتيجية، أن يحكي المعلم قصة للطفل، ثم يقوم المعلم بكتابة القصة على السبورة، ويطلب من الطفل أن ينظر إلى الكلمات، ثم يستمع إلى المعلم عندما يقرأ هذه الكلمات، ثم يقوم بقراءتها منطوقة، وأخيراً يقوم بكتابتها، ولزيادة الاستثارة للمسية الحركية تستخدم الحروف البارزة والحروف الغائرة (المفرغة) والأسطح الخشنة³.

٣- استراتيجيات تعديل السلوك المعرفي: يعرف تعديل السلوك المعرفي بأنه وسيلة للكشف عن الطاقات الكامنة لدى الأطفال ذوي صعوبات التعلم، وتعالج هذه الاستراتيجية مسألتين رئيسيتين لديهم وهما: التنظيم الذاتي والدافعية، ويعتبر أسلوب التعلم الذاتي وأسلوب مراقبة الذات أمثلة على هذه الاستراتيجيات، حيث يقوم أسلوب التعلم الذاتي على ملاحظة المعلم وتقليده (النمذجة)، أما أسلوب مراقبة الذات فيقوم على مراقبة الطالب لسلوكياته المناسبة وغير المناسبة⁴.

٤- استراتيجيات الذكاءات المتعددة: إن ما يميز نظرية الذكاءات المتعددة حسب (Armstrong, 2003) أنها تنظر للفرد ككل متكامل، فكما يوجد للفرد نواحي عجز أو ضعف، كذلك يمتلك نواحي من القوة في مجالات متعددة من الذكاءات التي يمكن أن تستخدم وتوظف بفعالية في عملية التعلم، وبالتالي فهي تلتقي مع واحد من أهم مبادئ التربية الخاصة، وهو التركيز على جوانب القوة لدى الفرد وتعزيزها، وعدم النظر إلى الفرد من خلال جوانب عجزه ووسمه بها.

¹ - بطرس حافظ بطرس (٢٠٠٨)، صعوبات التعلم، الرياض، دار الزهراء، ص ٢٣.

² - السرطاوي زيدان، والسرطاوي عبد العزيز، وخشان أمين، وأبو جودة وائل (٢٠٠١)، مدخل إلى صعوبات التعلم، الرياض، أكاديمية التربية الخاصة.

³ - الروسان فاروق، والخطيب جمال، والناطور ميادة (٢٠٠٤)، صعوبات التعلم، الكويت، الجامعة العربية المفتوحة.

⁴ - الزيات فتحي، (١٩٩٨)، صعوبات التعلم: الأسس النظرية والتشخيصية والعلاجية، مصر، دار النشر للجامعات.

ويحفل التاريخ بالعديد من الحالات التي كانت تعاني من احتياجات خاصة، ولكنها رغم ما تعانيه من مواطن الضعف والقصور هذه، إلا أنها تميزت في مجال أو أكثر، واستطاعت أن تتغلب على ما تعانيه من صعوبات مثل: أجاثا كريستي كانت تعاني من صعوبات تعلم ، ولكنها تفوقت في الذكاء اللغوي.

ليوناردو دافينشي كان يعاني من صعوبات تعلم ولكنه تفوق في الذكاء المكاني.

تشارلز داروين كان يعاني من اضطرابات سلوكية وانفعالية ، ولكنه تفوق في الذكاء الطبيعي.

عباس محمود العقاد كان يعاني من إعاقة بصرية، ولكنه تفوق في الذكاء اللغوي والذكاء الشخصي¹.

إن المتأمل في هذه المقاربات الأربعة يجد أنه على الرغم من تعدد واختلاف الأسس النظرية التي تقوم عليها، إلا أنها تشترك جميعاً في أنها تركز وتعالج جوانب الضعف والعجز والقصور لدى الفرد. ونحن في هذه الدراسة لن نركز اهتمامنا على استراتيجية بعينها، بل سنحاول الاستفادة منها جميعها، على اعتبار أن هذه الاستراتيجيات مجتمعة تفسر صعوبات التعلم ومشكلات التكيف لدى الأطفال في المراحل المبكرة من حياتهم، حسب نوع الصعوبة ودرجة حدتها.

ثالثاً: قواعد وخطوات التأهيل المعرفي: يعتبر التأهيل المعرفي للأطفال ذوي صعوبات التعلم في مرحلة الطفولة المبكرة أمراً بالغ الأهمية لتحقيق النمو المعرفي السليم من جهة ، ومن جهة أخرى مساعدة الطفل على حل مشكلة الصعوبة أو الصعوبات التي تواجهه، ويمكن تلخيص القواعد الأساسية التي يقوم عليها نجاح التأهيل المعرفي حسب (Jérôme Bianachi) فيما يلي:

١- التقييم النفسي المعرفي لطبيعة الاضطرابات التي يعاني منها الطفل.

٢- توعية الطفل بطبيعة الاضطرابات التي يعاني منها وإمكانية تجاوزها.

٣- تحفيز الطفل على توظيف التقنيات والتدريبات في الحياة اليومية وتعميمها.

٤- العمل المشترك من خلال التكفل المتعدد التخصصات (نفسية- تربوية - طبي- اجتماعي).

هذا بالنسبة إلى القواعد التي تساهم في نجاح التأهيل المعرفي، أما بالنسبة لخطوات التأهيل المعرفي من وجهة نظرنا فهي على النحو التالي:

الخطوة الأولى: الاكتشاف المبكر لصعوبات التعلم لدى الطفل.

الخطوة الثانية: التشخيص الصحيح والدقيق للصعوبات التي تواجه الطفل.

الخطوة الثالثة: بناء برنامج للتأهيل المعرفي يتوافق مع نوع الصعوبة أو الصعوبات المشخصة.

الخطوة الرابعة: تطبيق برنامج التأهيل المعرفي إلى غاية تحقيق أهدافه.

الخطوة الخامسة: تقييم عملية التأهيل المعرفي، وملاحظة مدى التقدم في علاج صعوبات التعلم لدى الطفل.

¹ - جابر جابر (٢٠٠٣)، الذكاءات المتعددة والفهم، القاهرة، دار الفكر العربي.

رابعاً: أهمية جودة الحياة الأسرية الداعمة للتأهيل المعرفي للأطفال ذوي صعوبات التعلم: تزايد الاهتمام في العقدين الماضيين بتأهيل الأطفال ذوي صعوبات التعلم ، وخاصة عندما انتقلت عملية التأهيل من المراكز البيداغوجية المتخصصة، ومن المؤسسات التربوية العامة إلى إشراك الأسر المتعلمة والملتزمة بتطبيق البرامج والمناهج الموجهة لهؤلاء الأطفال.

والمقصود بجودة الحياة الأسرية الداعمة لعملية التأهيل المعرفي للأطفال ذوي صعوبات التعلم، هي المناخ العام السائد في الأسرة، والمتضمن أساليب الرعاية الخاصة، والمعاملة السوية المتبعة من قبل الوالدين خصوصاً، وأفراد الأسرة عموماً، كما تشمل الوعي بأهمية مساعدة الأطفال على اكتشاف شخصياتهم، وتنمية قدراتهم، والتقليل من أخطائهم، وزيادة الثقة بأنفسهم، ومواجهة الصعوبات التربوية التي تواجههم في مسارهم التعليمي، من خلال فهم خصوصية أبنائهم من جهة، وإدراكهم متطلبات تربيتهم، وتوفير احتياجاتهم المادية، والجو النفسي والاجتماعي العام المريح والمشجع على النمو والتطور السليمين... ومن ثم فإن جودة الحياة الأسرية أصبحت من أهم المتغيرات التي تلعب دوراً رئيسياً في حياة الأفراد بصفة عامة والأطفال بصفة خاصة، وقد زاد الاهتمام بها في الآونة الأخيرة، ذلك لأهميتها في توافق الأبناء على المستوى الاجتماعي والانفعالي والنفسي، ومن ثم تحسين مستوى الصحة النفسية لديهم، وقد أكد هذا بوتنام (Putnam 1990) عندما اعتبر جودة الحياة الأسرية من أكثر الموضوعات أهمية، حيث افترض أن الأسرة هي المنظمة الأساسية الأكثر تماسكاً في المجتمع، وهي تمثل رأس المال الاجتماعي في المجتمع¹.

إن الأسرة التي تتحمل مسؤولية تربية وتنشئة أطفالها، وتتابع مراحل نموهم وخصائصهم، طبقاً لإدراك ومفهوم علمي ، يجب أن يتوافر لها الوعي لإعداد أبنائها للحياة الأسرية السليمة ، ويتأكد الوالدان من سير النمو السليم للطفل، وما قد يظهر من مظاهر غير عادية للطفل، من حيث البصر والسمع والإدراك والاستجابة والتعلم لما قد يقدم للطفل في كل جانب من جوانب حياته، وعندما تظهر أي ظاهرة تتنافى مع النمو السليم يجب عدم الإهمال والتدخل المبكر ... حيث أن القاعدة الأساسية في التدخل المبكر هي رعاية الأطفال وهم يعيشون في أسرهم، لأن الأسرة أفضل مكان لرعايتهم وحمايتهم، ففي الأسرة يجدون الرعاية الفردية التي تشبع حاجاتهم الجسمية والنفسية والعقلية والاجتماعية².

كما أنه من المعلوم بالضرورة أن المحيط الاجتماعي الذي يحيا ويعيش فيه الطفل، يجب أن يتسم بالنظام والانتظام والاستقرار، حتى يشعر الطفل بالهدوء والاطمئنان والتطور الإيجابي.

إن إشراك الأخصائي النفسي والتربوي للأسرة عامة والوالدين بصفة خاصة في عملية التأهيل المعرفي للأطفال ذوي صعوبات التعلم يعتبر من أهم الأمور المساهمة في نجاحه، ذلك أن هذا التعاون سينعكس لا محالة إيجابياً، سواء على الأخصائيين النفسيين والتربويين القائمين على عملية التأهيل بتسهيل مهمتهم، أو على الأطفال أنفسهم الذين سيتصرفون بطريقة إيجابية نحو ما يقدم لهم، على اعتبار أن الوالدين وربما بعض أفراد الأسرة يشاركون بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في هذه العملية.

¹ - أماني عيد المقصود ، وسميرة محمد شند (٢٠١٠)، جودة الحياة الأسرية وعلاقتها بفاعلية الذات لدى عينة من الأبناء المراهقين، المؤتمر السنوي الخامس عشر، جامعة عين شمس، مركز الإرشاد النفسي، ص ٤٩٨.

² - أشرف أحمد عبد القادر (٢٠٠٥)، تحسين جودة الحياة كمنبئ للحد من الإعاقة ، ندوة تطوير الأداء في مجال الوقاية من الإعاقة ، جامعة الزقازيق، ١٤-١٦/٠٣/٢٠٠٥، ص ١٠٠.

وعلى اعتبار أن الطفل في مرحلة ما قبل المدرسة قد يتواجد في روضة للأطفال ، فإن مسؤوليتها لا تقل أهمية عما تقوم به الأسرة، فلروضة الأطفال أهميتها التربوية والنفسية، فيما توفره من مناخ تربوي مناسب يكتسب منه الطفل الكثير من المفاهيم والاتجاهات الايجابية نحو نفسه والآخرين والعالم المحيط به، وهي بيئة معدة ومنظمة لتنشئ الطفل جسديا وحركيا، وتنميته عقليا ومعرفيا وانفعاليا، وتجعله متوافقا اجتماعيا، حيث تلعب الخبرات الباكرة فيها دورا أساسيا في نموه يوازي الدور الذي تلعبه الوراثة... إن بيئة الروضة التي تشجع الأطفال على القيام بالمهارات بدون إجبارهم على ذلك، تساعد على تطور المهارات لدى الأطفال في وقت مبكر من غيرهم من الأطفال الذين لم يلقوا نفس التشجيع!

وأنجع وسيلة لتعليم الأطفال ذوي صعوبات التعلم في مرحلة الطفولة المبكرة، هي تعليمه عن طريق اللعب، ويمكن للأم أن تعلم طفلها أشياء كثيرة عن طريق اللعب، حيث يشعر الطفل أنه يلعب ويلهو وهو سعيد، ومن خلال هذه المشاعر يتعلم الكثير من المهارات... وعندما يتكلم الطفل قد يخطئ في نطق الألفاظ، أو يعكس وضعها، أو يعكس بعض الحروف، في هذه الحالة يجب على الأم أن تطلب منه النطق بالطريقة الصحيحة، لأن ذلك سيؤخر نطقه، وعلى الأم في هذه الحالة إعادة نطق الكلمة بالطريقة الصحيحة².

وترى (مريم سليم) أن الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة يكون أكثر قابلية لتعديل السلوك، فالطفل في حالة من التشكل والتكوين، وبالتالي هو قابل للتغير والتعديل في هذه المرحلة أكثر من أي مرحلة نمائية أخرى، لذلك يكون تعديل السلوك أكثر يسرا وفعالية، كما يكون الطفل أكثر استجابة للمواقف والخدمات والتدخلات العلاجية والإرشادية والوقائية التي تقدم له... خاصة إذا كان هذا الطفل يتمتع بالأمان والاطمئنان داخل أسرته، ويتفاعل بشكل إيجابي وصحي مع أفرادها، يَعتَبِر أسرته سندا وقوة تدفعه دائما للانطلاق في الحياة، حيث يُحَفِّز ويُشجِع من الأسرة التي يجد في كنفها كل الحب والرعاية والأمن والاستقرار، أسرة تفرح لنجاحاته وتقيمها³.

ويمكننا بعد هذا العرض التأكيد على أن برامج التأهيل المعرفي، وجودة حياة الأسرة، من حيث أمنها واستقرارها، وأساليب التربية السليمة المتبعة فيها، وشبكة العلاقات الاجتماعية الإيجابية فيها، من شأنه أن يساعد الطفل الذي يعاني صعوبات التعلم بطريقة أفضل على تطوير إمكاناته، وتنمية قدراته، وتحسين أدائه ومهاراته في المجال الذي كان يشكو منه، بل وفي شتى المجالات، ولهذا وجدنا أن أغلب المبدعين الذين كانوا يعانون من صعوبات التعلم نشأوا في بيئات اجتماعية محفزة، ومناخ أسري ثري ومتفتح، مما مكّهم من التفوق والتميز والريادة والإبداع.

خامسا: معيقات نجاح التأهيل المعرفي: لقد أكدنا سابقا أن عملية التأهيل المعرفي عملية متكاملة ، تحقق أهدافها عندما يشترك فيها كل من الأخصائي النفسي والأخصائي التربوي والأخصائي الأطفونومي وأخصائي التربية الخاصة بمساعدة أفراد الأسرة جميعهم ، ومن خلال تحسين جودة الحياة الأسرية لديهم ، وأن العمل مع الأطفال ذوي صعوبات التعلم من خلال التجربة الميدانية بين أن معيقات نجاح التأهيل المعرفي مرتبطة بالعوامل التالية:

١- تأخر عملية التدخل في الوقت المناسب.

٢- التشخيص الخاطئ لصعوبات التعلم التي يعاني منها الطفل.

١- المرجع السابق، ص ١١٠.

٢- نعمة مصطفى رقبان (٢٠٠٦) ، المهارات الحياتية وتأهيل المعاقين ، المتلقى الثالث للمهارات الحياتية ، دولة الإمارات ، وزارة التربية والتعليم، ص ١٠.

٣- خليل محمد بيومي (٢٠٠٠)، سيكولوجية العلاقات الأسرية، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر، ص ٢٨.

٣- عدم ملاءمة برنامج التأهيل المعرفي لنوع صعوبة التعلم.

٤- الانقطاع المتكرر في عملية إنجاز برنامج التأهيل المعرفي.

٥- معاناة الطفل من اعتلالات صحية مصاحبة لصعوبات التعلم.

سادسا: اقتراحات وتوصيات: يمكننا أن نستخلص من كل سبق مجموعة من الاقتراحات والتوصيات نوجزها فيما يلي:

١- إن توعية الآباء والأمهات بأهمية الاكتشاف المبكر لصعوبات التعلم وأبعادها، ونتائجها التربوية والنفسية والاجتماعية، يُسهم في فعالية التدخل المبكر للحد من خطورتها، وانعكاساتها على الأطفال قبل الدخول إلى المدرسة.

٢- أهمية التشخيص الصحيح والدقيق لدرجة صعوبة التعلم التي يعاني منها الطفل وعمقها ومدتها، حتى نتبع الاستراتيجية الأسلم للعلاج، ومواجهة الطوارئ.

٣- زيادة الاهتمام بمرحلة الطفولة المبكرة من خلال إنشاء وحدات البحث الجامعية (Les unités de recherche) المتخصصة في مجال صعوبات التعلم، والتي تعالج المشكلات الحقيقية التي تواجه الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة.

٤- على الآباء أن يتقبلوا تساؤلات الأبناء - خاصة في السن السؤول - لأن ذلك من أهم الأمور التي تشجع الأطفال على حب المعرفة والتفكير الابتكاري من جهة، ومن جهة أخرى تساعد الآباء على اكتشاف الصعوبات النمائية أو الأكاديمية التي قد تواجههم.

٥- تحسين جودة الحياة الأسرية للأطفال ذوي صعوبات التعلم، لأن ذلك يسهم في علاج المشكلات التي تواجههم، ويساعدهم على التوافق النفسي والتكيف الدراسي.

٦- الاهتمام بالبحوث التي تتناول موضوعات لها علاقة بصعوبات التعلم في الطفولة المبكرة، لأننا نلاحظ بأن أغلب الباحثين في الوطن العربي يتوجهون لدراسة عينات متمدرسة في التعليم: (الابتدائي أو المتوسط أو الثانوي أو الجامعي)، لكننا قلّ ما نجد دراسات على عينات خاصة بالطفولة المبكرة.

٧- بناء برامج إرشادية تساعد على تكيف الأطفال ذوي صعوبات التعلم، واندماجهم مع غيرهم من أندادهم في المجتمع، خاصة عند غياب المراكز المتخصصة التي تُعنى بالأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة.

٨- العناية بتكوين وتأطير مربّيات الروضة ومعلمات الأطفال في الطور التحضيري بما يتوافق مع أدوارهنّ الاستراتيجية المستقبلية الهامة، لأنهنّ بحكم تخصصهنّ يُؤدّين أدواراً مُهمّة في الاكتشاف المبكر للأطفال الذين يعانون من صعوبات التعلم، كما أنّهنّ يلعبن دوراً مهمّاً أيضاً في رعايتهم، وتنمية قدراتهم، وتسهيل عملية اندماجهم.

خاتمة:

إن الطفل كما يقول بياجيه متعلّم ماهر بطبيعته، حتى ولو كان يعاني من مشكلة صعوبة التعلم، والمطلوب هو أن يتحقق له من البداية مجموعة من الأمور التي تساعده على فهم واقعه وشخصيته وإمكاناته وقدراته، ومن بين هذه الأمور نجد: ثقافة الوالدين، وحبّهما، وطريقة معاملتهما لابنهما، وأساليب تربوية سليمة، وحياة أسرية آمنة ومستقرة، وأن نُوجّهه بما يساعده على استغلال أوقاته سواء كان في الروضة، أو في الكتاتيب القرآنية، أو في البيت، أو حتى في أوقات الفراغ، لكي

يقلل من أخطائه ويتجاوز الصعوبات التربوية التي تواجهه، وهذا يتحقق إما بالدراسة العامة أو ببرامج خاصة ، بالإضافة إلى اللعب الهادف والمُوجّه الذي يزيد ثقة في نفسه وفي قدراته ومهاراته.

قائمة المراجع:

- ١- ابن منظور أبي الفضل جمال الدين (١٩٩٣)، لسان العرب، بيروت، طبع دار الكتب العلمية، ط١، جزء أ.
- ٢- أشرف أحمد عبد القادر (٢٠٠٥)، تحسين جودة الحياة كمنبئ للحد من الإعاقة ، ندوة تطوير الأداء في مجال الوقاية من الإعاقة، جامعة الزقازيق، ١٤-١٦/٠٣/٢٠٠٥ .
- ٣- أماني عيد المقصود ، وسميرة محمد شند (٢٠١٠)، جودة الحياة الأسرية وعلاقتها بفاعلية الذات لدى عينة من الأبناء المراهقين، المؤتمر السنوي الخامس عشر، جامعة عين شمس، مركز الإرشاد النفسي.
- ٤- بطرس حافظ بطرس (٢٠٠٨)، صعوبات التعلم ، الرياض، دار الزهراء.
- ٥- البستاني فؤاد أفرام، (طبعة ٣٨)، منجد الطلاب ، بيروت ، دار المشرق.
- ٦- جابر جابر (٢٠٠٣)، الذكاءات المتعددة والفهم، القاهرة، دار الفكر العربي.
- ٧- الخطيب جمال ومنى الحديد (١٩٩٨)، المدخل إلى التربية الخاصة، الكويت ، مكتبة الفلاح.
- ٨- الروسان فاروق، والخطيب جمال ، والناطور ميادة (٢٠٠٤)، صعوبات التعلم ، الكويت، الجامعة العربية المفتوحة.
- ٩- السرطاوي زيدان ، والسرطاوي عبد العزيز، وخشان أيمن، وأبو جودة وائل (٢٠٠١)، مدخل إلى صعوبات التعلم، الرياض، أكاديمية التربية الخاصة.
- ١٠- الشربيني زكرياء، ويسرية صادق (٢٠٠٢)، أطفال عند القمة -الموهبة والتفوق العقلي والإبداع- القاهرة، دار الفكر العربي.
- ١١- خليل محمد بيومي (٢٠٠٠)، سيكولوجية العلاقات الأسرية، القاهرة، دارقباء للطباعة والنشر.
- ١٢- الزيات فتحي، (١٩٩٨)، صعوبات التعلم: الأسس النظرية والتشخيصية والعلاجية، مصر، دار النشر للجامعات.
- ١٣- صباح العنيزات (٢٠٠٩)، نظرية الذكاءات المتعددة وصعوبات التعلم ، عمان ، دار الفكر.
- ١٤- محمدعبدالعزیز الطالب (٢٠١٢)، البيئة الأسرية الداعمة لنمو الموهبة، مجلة العربية لتطوير التفوق، العدد ٥، صنعاء، ٢٠١٢، ص٢٩. مريم سليم (٢٠٠٣)، علم نفس النمو، بيروت ، دار النهضة العربية.
- ١٥- منار عبد الرحمن خضر، أحلام عبد العظيم مبروك (٢٠١١)، جودة حياة الأسرة وتأثيرها على قدرة الأم لاكتشاف وتنمية الذكاءات المتعددة لدى الأطفال في سن ما قبل المدرسة، مجلة بحوث التربية النوعية، المنصورة القاهرة ، العدد ٢٣ ، أكتوبر ٢٠١١ .
- ١٦- موسى محمد نجيب (٢٠٠٣)، أساليب المعاملة الوالدية للأطفال الموهوبين، رسالة ماجستير غير منشورة، مصر. جامعة حلوان.



١٧- نعمة مصطفى رقبان (٢٠٠٦) ، المهارات الحياتية وتأهيل المعاقين ، الملتقى الثالث للمهارات الحياتية ، دولة الإمارات ، وزارة التربية والتعليم.

1- Charles A. Nelson, Bloom, F. Gifted Child Development & Family Organization Philips press, London 2002, p. (32-26).

2- Hornsby, B. (1994). The Hornsby correspondence course, Module 1-4, (5th ed). London: The Hornsby International Centre.

مواقع أنترنت:

1- http://www.huffingtonpost.fr/isabelle-amado-md-phd/quest-ce-que-la-remediation-cognitive_b_3728095.html

2- Jérôme Bianchi, Remédiation neuropsychologique, Théorie et pratique : http://www.ac-nice.fr/ienash/ash/file/Formation/Dys/7_REMEDIATION_NEUROPSYCHOLOGIQUE_J_Bianchi.pdf